لاشك فيها ، فكل ما يملكه أن يقول : لعلها الخصف لأن الحقيقة التاريخية لا تثبتها إلا نصوص يقينية أو وثائق ماسة ، أما الفروض والاحتمالات فلا تكفى لإثباتها . وقديما قال عمرو بن شبه تلميذ الناقد العربى المعروف محمد ابن سلام « للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه » ، وحديثا يقول بروكلمان : «لا تستطيع روايه مأثورة أن تقدم لنا خبراً صحيحا عن أولية الشعر »

حين نعود إلى الطريق الذى سلكه الشعر العربى من بدايته نلاحظ أن النصوص التى وصلت إلينا من عصر ما قبل التاريخ الأدبى ، وهو العصر الذى سهد مرحلة الرجز ومرحلة المقطوعة ، نصوص تظهر فيها لهجات القبائل المختلفة التى ينتمى إليها أصحابها ، وبخاصة نصوص الرجز الذى احتفظ - بسبب شعبيته - بلهجات هذه القبائل فقد كان الرجز - كما رأينا - فنا شعبياً ، ولكنه لم يكن - فى الواقع - فناشعبياً على مستوى الجزيرة كلها ، وإنما كان فنا شعبياً على مستوى القبيلة - أو بعبارة أخرى - كان فنامحليا لا يكاد يتجاوز نطاق القبيلة .

ومن هنا احتفظ بكثير من لهجات القبائل وخصائصها المميزة لها ، فكان بهذا مادة طيبة وحقلاً خصبا للغويين والنحاة يجدون فيه شواهدهم على لهجات القبائل ، ونوادر اللغة وغريبها ، وما شذ على القواعد العامة التى أخضعوا لها النحو العربى ، وحقا كانت بعض نصوص هذا الرجز القديم تبدو كأنها قطع أثرية نادرة من التى يعثر عليها علماء الآثار فى حفرياتهم . ولعل فى هذا ما يؤكد صحة هذه النصوص وبعدها عن شبهة الوضع والانتحال ، على العكس من المقطوعات التى وصلت إليها من هذا العصر والتى يبدو أن ألسنة الرواة وأقلامهم فى عصر التدوين أدخلت عليها بعض التعديلات اللغوية التى أخضعتها للغة « موحدة » أهدرت منها لهجات القبائل ، إن لم تكن قد اخترعتها اختراعاً ، ووضعتها وضعاً على ألسنة أولئك الشعراء الذين أطلقوا عليهم « أوائل الشعراء » .

أما حين يتقدم بنا الطريق لنضع أقدامنا على بداية عصر التاريخ الأدبى